

حِينَ تَهْتُ - وَجَدْتَنِي



تأليف الطالبة

ملك مجدي الدهوكي

في زحمة الأيام، وبين خطوات الطفولة المليئة بالدهشة
والأسئلة، قد نضيع أحياناً... لا لأن الطريق غامض، بل لأن
قلوبنا تبحث عن معنى أعمق.

هذه قصة فتاة صغيرة وجدت نفسها حين ظنّت أنها تائهة،
واكتشفت أن الكتب ليست أوراقاً تُقرأ فحسب، بل أبواباً تُفتح
نحو الشجاعة، والطمأنينة، وحبّ الحياة.

«حين تهتّ - وجدتني» ليست مجرد رحلة إلى معرض كتاب،
بل رحلة إلى الداخل...

إلى حيث يولد الأمل من بين الصفحات،
وحيث يصبح الضياع بدايةً لاكتشاف الذات.



كَانَ صَبَاحًا مُخْتَلِفًا بِالنُّسْبَةِ لِزَيْنَبَ، لَا يُشْبِهُ أَيَّ يَوْمٍ
دِرَاسِيٍّ عَادِيٍّ. اسْتَيْقَظَتْ قَبْلَ الْمُنَبِّهِ بِدَقَائِقَ، وَلَمْ
تَسْتَطِعِ النَّوْمَ مِنْ شِدَّةِ الْحَقَاسِ.



معرض السارقة الدولي للكتاب



الْيَوْمُ هُوَ مَوْعِدُ رِحْلَةِ الْمَدْرَسَةِ إِلَى مَعْرِضِ الشَّارِقَةِ
الدُّوَلِيِّ لِلْكِتَابِ، الْمَكَانِ الَّذِي طَالَمَا تَخَيَّلْتَهُ جَنَّةً مَمْلُوءَةً
بِالْقِصَصِ وَالْعَوَالِمِ الْجَدِيدَةِ.

وَقَفْتُ أَمَامَ الْمَرْأَةِ تَرْتَبُ شَرِيظَهَا الْأَزْرَقُ، وَتَتَأَكَّدُ أَنَّ
شَعْرَهَا مُرْتَبٌ كَمَا تُحِبُّ أُمُّهَا، ثُمَّ أَمْسَكَتْ حَقِيبَتَهَا
وَخَرَجْتُ بِخُطَوَاتٍ خَفِيفَةٍ تَكَادُ تَطِيرُ.





عِنْدَمَا وَصَلَتِ الْخَافِلَاتُ إِلَى الْمَغْرِبِ، شَعَرْتُ زَيْنَبُ كَأَنَّهَا
دَخَلَتْ مَدِينَةً أُخْرَى: أَضْوَاءٌ، لَافِتَاتٌ، ضِحِكَاتٌ، وَآلَافُ
الْكُتُبِ تَلْمَعُ تَحْتَ سَقْفٍ وَاسِعٍ لَا يَنْتَهِي.

وَقَفَّتْ بِجَانِبِ صَدِيقَاتِهَا فِي الطَّاوُورِ، لَكِنَّهَا لَمْ تَسْتَطِعْ
مَنْعَ عَيْنَيْهَا مِنَ التَّجَوُّلِ. كُلُّ رَفٍّ كَانَ يَلْمَعُ كَأَنَّهُ يُنَادِيهَا،
وَكُلُّ عُنْوَانٍ تَرَاهُ يُوقِظُ فِيهَا رَغْبَةً الْقِرَاءَةِ.





دَخَلَتِ الطَّالِبَاتُ بِتَرْتِيبٍ هَادِيٍّ، وَالْمُعَلِّمَاتُ يُكَرِّرْنَ
التَّعْلِيمَاتِ:

(لَا تَبْتَغِدْنَ عَنِ الصَّفِّ... ابْقَيْنَ مَعَ الْمَجْمُوعَةِ...)

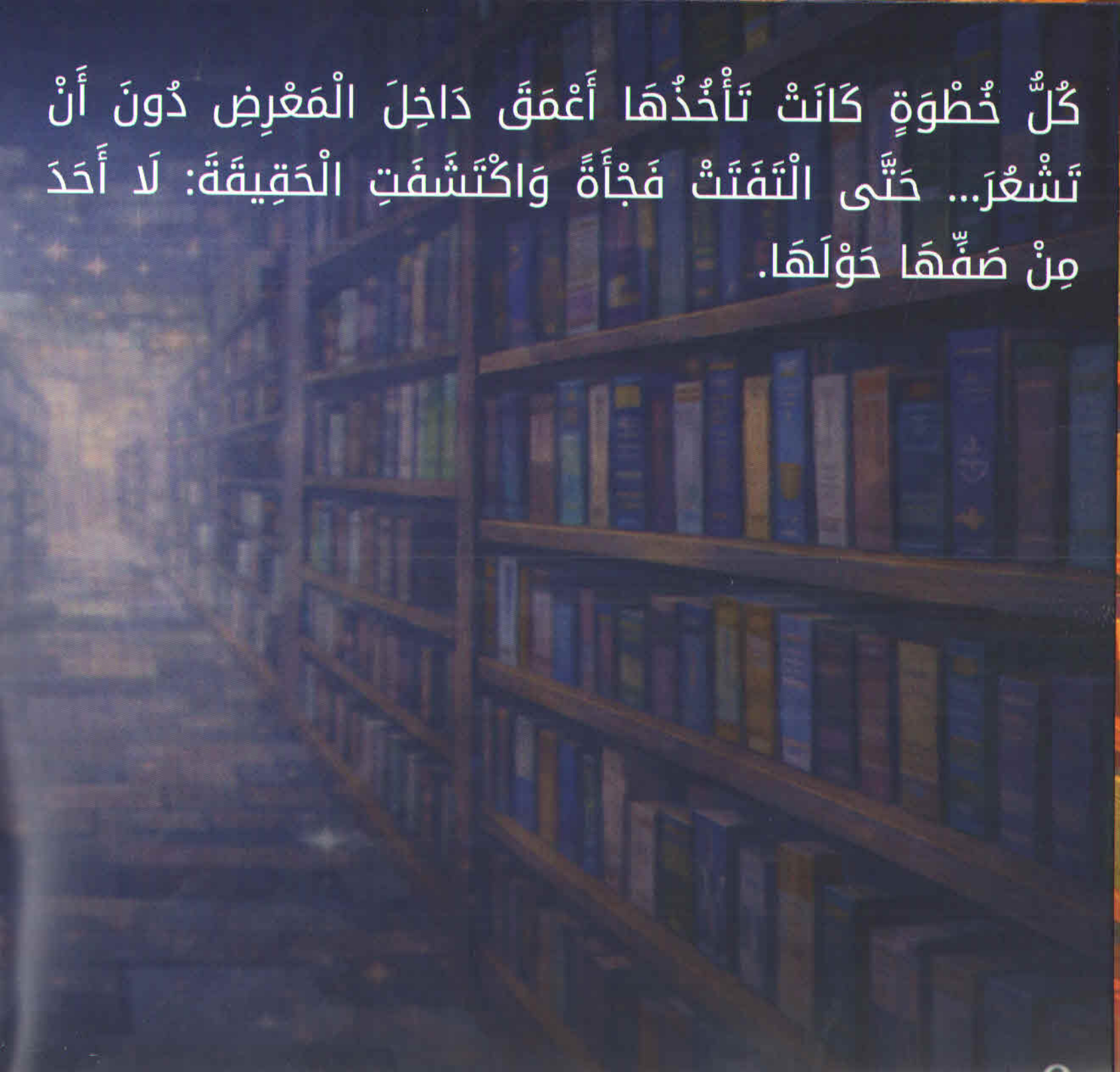
إِلَّا أَنْ أَدُنَّ زَيْتَبَ سَمِعَتْ شَيْئًا آخَرَ—سَمِعَتْ صَوْتَ الْكُتُبِ
فَقَطْ.





اِفْتَرَبْتُ مِنْ جَنَاحٍ صَغِيرٍ يَبِيعُ كُتُبًا عَنْ تَارِيخِ الْبَحْرِ، ثُمَّ
شَدَّتْهَا رَائِحَةُ الْوَرَقِ الْجَدِيدِ مِنْ رَافٍ مُجَاوِرٍ، ثُمَّ لَفَتِ
اِتِّبَاهَهَا غِلَافٌ بِلَوْنِ اللَّيْلِ يَحْمِلُ عُنْوَانَ رِحْلَةٍ إِلَى السُّجُوعِ

كُلُّ خُطْوَةٍ كَانَتْ تَأْخُذُهَا أَعْمَقُ دَاخِلِ الْمَعْرِضِ دُونَ أَنْ
تَشْعُرَ... حَتَّى التَّفَتَّتْ فَجْأَةً وَاکْتَشَفَتْ الْحَقِيقَةَ: لَا أَحَدَ
مِنْ صَفِّهَا حَوْلَهَا.





تَوَقَّفْ قَلْبُهَا لِلْحِظَةِ، وَشَعَرَتْ بِحَرَارَةٍ فِي وَجْهِهَا
وَازْتَبَاكَ فِي أَصَابِعِهَا. أَرَادَتْ أَنْ تَبْكِي، لَكِنَّهَا تَذَكَّرَتْ
كَلِمَاتِ أُمِّهَا:
لَوْ خِفْتُ، خُذِي نَفْسًا عَمِيقًا... الْعَالَمُ لَيْسَ مُخِيفًا كَمَا
يَظُنُّ قَلْبُكَ الصَّغِيرُ.

تَنَقَّسْتُ بِبُطْءٍ. مَرَّةً، مَرَّتَيْنِ... ثُمَّ قَرَّرْتُ أَنْ تَفْشِي، لَا أَنْ
تَهْرُبَ.





وَمَعَ كُلِّ خُطْوَةٍ، كَانَ الْخَوْفُ يَتَرَجَّعُ قَلِيلًا. فَتَحَتْ كِتَابًا
وَقَرَأَتْ صَفْحَةً، ثُمَّ صَفْحَتَيْنِ، ثُمَّ عَشْرًا... نَسِيتُ أَنَّهَا
تَائِهَةٌ، وَنَسِيتُ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الْكُتُبَ.

لَكِنَّ الْوَقْتَ كَانَ يَمْضِي بِصَفْتٍ. وَعِنْدَمَا سَمِعَتْ إِعْلَانًا
يُخْبِرُ بِاقْتِرَابِ انْتِهَاءِ الرِّحْلَةِ، اسْتَيْقَظَ الْخَوْفُ مِنْ جَدِيدٍ.





اَتَجَهَّتْ نَحْوَ مَكْتَبِ الدِّسْتِغْلَامَاتِ وَسَأَلَتْ بِحُطُوَاتٍ مُتَرَدِّدَةٍ.
نَظَرَتْ الْمُوَضَّفَةُ إِلَيْهَا بِلُطْفٍ، وَوَعَدَتْهَا بِالتَّوَاصُلِ مَعَ
الْمَدْرَسَةِ فَوْرًا.

ثُمَّ ظَهَرَتِ الْمُعَلِّمَةُ وَهِيَ تَرْكُضُ نَحْوَهَا، وَقَالَتْ بِفَرَحٍ:
ظَنَنْتُ أَنَّنَا صَيِّغُنَاكِ يَا زَيْنَبُ! ضَحِكْتَ زَيْنَبُ وَفِي يَدِهَا
ثَلَاثَةُ كُتُبٍ كَانَتْهَا جَوَاهِرُ.





وَفِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ، جَلَسْتُ قُرْبَ النَّافِذَةِ وَابْتَسَمْتُ،
وَفَهِمْتُ شَيْئًا جَمِيلًا: أَحْيَانًا نَضِيعُ لِنَجْدٍ أَنْفُسَنَا... أَكْثَرَ
شَجَاعَةً، وَأَكْثَرَ حُبًّا لِلْحَيَاةِ.
كَانَ يَوْمًا وَجَدْتُ فِيهِ زَيْنَبُ نَفْسَهَا.



LEXORA